إيبارشية جنوبي أمريكا للأقباط الأرثوذكس

الرسالة الشهرية للأباء الكهنة **اكتوبر ٢٠١٦م**

اعبروا اعبروا بالأبواب

"اُعْبُرُوا، اعْبُرُوا بِالأَبْوَابِ، هَيِّئُوا طَرِيقَ الشَّعْبِ. أَعِدُّوا، أَعِدُّوا السَّبِيلَ، نَقُّوهُ مِنَ الْحِجَارَةِ، ارْفَعُوا الرَّايَةَ لِلشَّعْبِ. هُوَذَا الرَّبُّ قَدْ أَخْبَرَ إِلَى أَقْصَى الأَرْضِ، قُولُوا لابْنَةِ صِهْيَوْنَ: "هُوَذَا مُخَلِّصُكِ آتٍ. هَا أُجْرَتُهُ مَعَهُ وَجِزَاؤُهُ أَمَامَهُ" (إش٦٢: ١٠-١١)

لقد كان هذا هو أمر الرب للكهنة واللاويين مرشداً إياهم لخطوات إعداد الشعب لمجيئه. وجاءت الوصية على سبيل الأمر: "اعبروا اعبروا بالأبواب" كخطوة أولى في هذا الإعداد. وتكرار كلمة "اعبروا" تؤكد بشدة على ضرورة وإلحاح هذا العبور. لكن أي نوع من العبور يلح الرب على الكهنة واللاويين أن يعبروه؟ وأي نوع من الأبواب يطالبهم باجتيازها؟

(١) "الحق الحق أقول لكم إن الذي لا يدخل من الباب إلى حظيرة الخراف بل يطلع من موضع آخر فذاك سارق ولص. وأما الذي يدخل من الباب فهو راعي الخراف" (يو١٠: ١-٢) = محور خدمة الكاهن هو شخص يسوع المسيح المخلص الذي هو باب الخراف. الكاهن الذي يطلع من موضع آخر منادياً بشيء آخر بخلاف رسالة الخلاص هو سارق ولص.

(٢) "اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق فإني أقول لكم إن كثيرين سيطلبون أن يدخلوا ولا يقدرون" (لو١٣:٢٤) = الكاهن مطالب أن يعبر أبواب الضيقات والإماتات على المستوى الشخصي وعلى مستوى الخدمة لأن حبة الحنطة إن ماتت تأتي بثمر كثير.

(٣) "افتحوا لي أبواب البر. أدخل فيها وأحمد الرب. هذا الباب للرب. الصديقون يدخلون فيه" (مز١١٨: ١٩-٢٠) = الكاهن لابد وأن يعبر أبواب البر ولكن ليس بر الذات والناموس ولكنه يتبرر ببر المسيح المخلص والفادي.

(٤) "والمستعدات دخلن معه إلى العرس وأغلق الباب" (مت٢٥:١٠) = لابد أن يكون الكاهن ساهراً على خلاص نفسه مستعداً بجهاده القانوني لكي يعبر من باب الملكوت قبل أن يغلق إلى الأبد.

(٥) "ويل لكم أيها الناموسيون لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة. ما دخلتم أنتم والداخلون منعتموهم" (لو١١:٥٢) = فتح الكاهن لأبواب المعرفة الروحية وأبواب أسرار الملكوت أمام نفسه وأمام شعبه.

(٦) "هأنذا واقف على الباب وأقرع" (رؤ٣:٢٠) = محور خدمة الكاهن هو أن يعبر حواجز الخطية والذات التي شيدها عدو الخير حول قلوب وعقول المخدومين. عمل الكاهن أن يظل قارعاً على الأبواب ولا يغادرها حتى يعبر منها إلى أعماق النفوس.

(٧) "أعبر إلينا وأعنا" (أع١٦:٩) = عبور الكاهن إلى المخدوم من أجل معونته يعني أنه يضع نفسه مكان المتألم والمكروب والخاطئ لكي يتفهم وضعه وظروفه وضعفه. لا يخدم الكاهن الضعفاء والخطاة من برج عالٍ مكتوب عليه "برج القديسين" بل هو يخلي ذاته كما المسيح لكي يعبر إليهم ويعينهم.

(٨) "دخل بيت سمعان" (لو٤:٣٨) = ألا يهمل الكاهن خدمة الافتقاد. "اعبروا اعبروا الأبواب" هو أمر الرب للكهنة بالدخول إلى البيوت وافتقاد من فيها.

(٩) "هأنذا قد جعلت أمامك باباً مفتوحاً ولا يستطيع أحد أن يغلقه" (رؤ٣:٨) = ينبغي على الكاهن ألا يهمل أبواب ومجالات الخدمة الجديدة التي يفتحها أمامه الرب ويلح عليه الروح القدس بالعبور فيها.

(١٠) "وكان لها سور عظيم وعالٍ وكان لها اثنا عشر باباً وعلى الأبواب اثنا عشر ملاكاً وأسماء مكتوبة هي أسماء أسباط بني إسرائيل الاثني عشر" (رؤ٢١: ١٢) فيما الكاهن يُعلّم لابد وأن يعبر من أبواب تقليد آباء الكنيسة الأولين لئلا ينحرف تعليمه عن الإيمان المستقيم.

وصايا الرب يسوع ليست ثقيلة

قد تقف أحياناً أمام وصايا الرب يسوع متحيراً وكأنك لا تفهمها، إذ تبدو للوهلة الأولى أنها تتناقض مع المتعارف عليه فى المجتمع. فكيف تموت لكى تحيا؟ تتعب لكى تستريح؟ تعطى لكى تأخذ أكثر؟ إن وصايا المسيح تضعك وجهاً لوجه أمام حقيقة أنك لا يمكنك أن تعرف كل أسرار الحياة، ولكنك يجب أن تصدِّق ذاك الذى صمم هذه الحياة، وصمم لك كيف تحياها!

إن التأمل فى تلك المفارقات، أو إذا صحَّ التعبير"التضادات" فى وصايا الرب يسوع، يجعلك تثق فى شخص المسيح ووصاياه أكثر فأكثر، وتختبر السلام الذى يستطيع هو وحده أن يهبك إياه، وهنا نعرض لبعض هذه الوصايا التى تحمل مفارقات:

١. التعب يؤدى إلى الراحة:

+ "احملوا نيرى عليكم وتعلموا منى، لأنى وديع ومتواضع القلب، فتجدوا راحةً لنفوسكم. لأن نيرى هين وحملى خفيف" (مت ١١: ٢٩، ٣٠).

والمسيح بهذه الوصية يدعو التعابى وحاملى الأحمال الثقيلة إلى المجئ إليه: "وأنا أريحكم".

وإذاً بالراحة عند المسيح هى أن يحملوا "نيره". والنير ـ لمن لا يعرف ـ هى الخشبة الثقيلة التى يضعونها على رقبة الحيوانين اللذين يديران الساقية معاً أو يجران المحراث فى الريف. هذا النير هو تشبيه للتلمذة للمسيح التى تتطلب من الإنسان أن يعطى حياته كلها للمسيح ـ مهما كانت دعوته فى العالم ـ وهذا يتطلب أن يطيع الإنسان وصايا المسيح كتلميذ ينفذ تعاليم معلمه.

لكن المسيح يُطَمئن تلميذه أن هذا النير "هيّن وخفيف"، وهو يقصد أن المسيح نفسه يضع عنقه أى كل قوته مع الذى يحمل نير المسيح، فيكون الثقل كله على المسيح، ولكن الظاهر أن التلميذ هو الذى يحمل النير. لذلك يقول القديس يوحنا،عن إختبار لهذه التلمذة الحقيقية: "ووصاياه ليست ثقيلة" (١يو ٥ : ٣).

وتكون النتيجة: سيجد التلميذ راحةً وسلاماً وفرحاً ونشاطاً وطاقةً، كما يقويك الله ويعطيك. اقضِ وقتاً طويلاً فى الصلاة واعلم أن همومك وأحمالك يشترك معك المسيح فى حملها بالنصيب الأكبر (نصيب الأسد). وستختبر صدق وصية المسيح: "وأنا أريحكم".

٢. السلوك بالإيمان وليس بالعيان:

+ " لأننا بالإيمان نسلك لا بالعيان" (٢ كو ٥ : ٧).

وهنا يجب أن تتحقق من الفرق بين "العيان" أى"الرؤية بالعينين" وبين "الرؤية الباطنية".

فى العالم يوجد الكثير ما لا يمكن للعينين أن تراه. اسأل الله أن يعطيك الإيمان حتى ترى وترى الكثير والكثير كما يراه هو.

وبدلاً من أن تجعل ثقتك وإتكالك على ما تراه فقط رؤيا العين (وهو وقتى وزائل) ، ضع ثقتك فيما تراه بالإيمان ما لا تراه العين (وهو أبدى ودائم ومضمون). ضع أحلامك

وآمالك فى يدى الله، عارفاً أن الله يرتب لك ما يفوق رؤيتك بالعين، وأنت سائر فى طريق الحياة. إختر أن تحيا ليس بحسب رؤيتك المحدودة، بل بحسب الإمكانيات التى بلا حدود التى يضعها الله تحت تصرفك. فقط إبدأ بحياة الإيمان وستسلك بعد ذلك فى رُحَب الحياة مع الله.

٣. إعط لكى تأخذ أكثر:

+ " أعطوا تُعْطوا، كيلاً جيداً ملبداً مهزوزاً فائضاً يعطون فى أحضانكم"(لو ٦ : ٣٨)

اعلم جيداً أنك يمكنك أن تختبر جداً غنى الله حينما تُعطى بدلاً من أن تحبس ما عندك عن الله فى أشخاص المحتاجين والفقراء. إن الله يريدك أن تختبر، من خلال العطاء، أموراً فائقة على ما يفكر فيه الذين ليسوا فى صفوف التلمذة للمسيح.

وإعلم أن السعادة لا تأتى من الربح المادى (إسأل فى هذا كبار الأغنياء)، بل من التشَبُّه بالله الذى "يعطى بسخاء ولا يُعَيِّر" (انظر يع ١ : ٥). الله يحميك من الأنانية التى تسرق منك كل فرح. وقس حياتك على ما أنت عليه وليس على ما تمتلكه. واعلم أن إعتزاز الله بك يرجع، لا إلى غنى ممتلكاتك، بل إلى أنك عزيز فى عينى الله بما لا يُقدر بمال، حتى لو كنت مفلساً مادياً. فكل ما عندك أو ما أنت فيه هو عطية من الله، والكل من الله ولله فى النهاية. فإحرص أن تستخدم هذه العطايا بإشراك الآخرين كما يرشدك الله. وفى النهاية ستختبر الفرح الكبير الذى من الله الذى هو أثمن من كل ما عندك.

٤. أُطلب حكمة الله التى تبدو جهالة عند الناس، لكى تصير حكيماً عند الله:

+ " لا يخدعن أحد نفسه. إن كان أحد يظن أنه حكيم بينكم فى هذا الدهر، فليصر جاهلاً لكى يصير حكيماً. لأن حكمة هذا العالم هى جهالة عند الله، لأنه مكتوب: "الآخذ الحكماء بمكرهم" (١ كو ٣ : ١٨ ، ١٩).

من السهل البحث عن الحكمة فى الأماكن الخاطئة وعند الأشخاص الخاطئين! وكم من شباب ورجال ونساء هلكوا بعد أن أخذوا الحكمة من غير مصدرها الإلهى المضمون فى هذا العالم الملوث بالسقوط والخطية؟

ومصدر الحكمة الوحيد والمضمون هو الله. والإتضاع والإحساس بالرغبة الدائمة فى التعَلُّم هما الطريق لنوال الحكمة الإلهية الحقيقية. والله أعظم من أن تحتويه عقول الذين يظنون فى أنفسهم أنهم حكماء. لكن الروح القدس حينما يسكن فى الإنسان المتضع، يسكب فى ذهنه مبادئ الحكمة الإلهية التى ترشده فى طريق حياته. يتوه الناس فى طلب الحكمة حينما يتجاهلون مصدر الحكمة ومانح الحكمة، الله بالروح القدس الذى سكبه فينا. اسأل الله أن يعطيك الحكمة بالروح القدس الذى فيك من خلال الصلاة المستمرة، والتأمل العميق فى كلمة الله فى الكتاب المقدس، وبإختبار وصايا المسيح بأمانة وحرص، والإنصات دائماً إلى صوت ضميرك لأنه عن طريقه يُعَرِّفك الروح القدس بمشيئة الله.

٥. إخدم لكى تملك!:

+ " من أراد أن يصير فيكم عظيماً يكون لكم خادماً. ومن أراد أن يصير فيكم أولاً يكون للجميع عبداً. لأن ابن الإنسان أيضاً لم يأتِ ليُخدَم بل ليَخدِم وليبذل نفسه فديةٍ عن كثيرين" (مر ١٠ : ٤٣ . ٤٥).

هذه أصعب المفارقات والتضادات فى وصايا الرب يسوع، ولكنها مفارقة وتضادة صادقة وصحيحة، ولابد أن تعرف أن الحياة التى عاشها المسيح هى النموذج الذى يجب أن يعيش عليه كل البشر، حتى إذا عاشوا هكذا عمَّ السلام وانفضَّت الحروب وتكسَّرت كل الأسلحة.

وصايا المسيح هى خلاصة حياته، وقد قالها المسيح لتلاميذه ليلة آلامه بعد أن سلَّمَ نفسه للموت بإرادته قبل أن يسلمه يهوذا، كخاتمة لخدمته كعبد وسط البشرية، ولكن كبداية لمجد الرئاسة والسلطان على الحياة ليُعطيها لمن يشاء: "لأن من هو أكبر: الذى يتَّكِئ أم الذى يخدم. ولكن أنا بينكم كالذى يخدم" (لو ٢٢ : ٢٧)، " فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم ، فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض. لأنى أعطيتكم مثالاً حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً. الحق الحق أقول لكم: أنه ليس عبد أعظم من سيده، ولا رسول أعظم من مرسله، إن علمتم هذا فطوباكم إن عملتوه" (يو ١٣ : ١٤ . ١٧).

يُحَتِّم المسيح أن نفعل كلنا هكذا، لأننا لسنا أعظم من سيدنا ولا من مُرسلنا. فإن لم نفعل ذلك تحت أية حُجة أو عُذر؛ فها النتيجة أمامنا،العالم المضطرب أمامنا، والحروب تكوينا، والنزاعات تدمر البشرية فى كل مكان!

فلتسأل المسيح أيها الأب والأم والمعلم ورئيس العمل وكل من تحت سلطانه مرؤوسون وتلاميذ وعمال، أن يعطيك التواضع الذى تحتاجه لتُحَوِّل التركيز من على شخصك إليه هو وإلى الآخرين المحتاجين أن يشاركوك فى محبتك له.

٦. أصعب إختبار: تموت لكى تحيا:

+ " لا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه، بل كل واحد إلى ما هو لآخرين أيضاً، فليكن فيكم هذا الفكر الذى فى المسيح يسوع أيضاً: الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله. لكنه أخلى نفسه، آخذاً صورة عبد، صائراً فى شبه الناس. وإذ وُجِد فى الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب. لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه إسماً فوق كل إسم " (فى ٢ : ٤ ـ ٩).

الجميع يطلبون الحياة بأن يهربوا من الموت! والهروب من الموت له أشكال وطرق كثيرة، ولكنها تؤول فى النهاية إلى الموت. لكن المسيح وضع هذه التضادة الصعبة لكن المضمونة: "إن أراد أحد أن يأتى ورائى فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعنى. فإن من أراد أن يُخَلِّص نفسه يُهلكها، ومن يهلك نفسه من أجلى يجدها" (مت ١٦ : ٢٤ ، ٢٥).

وتطبيق هذه الكلمات سيجدها كل من أتى إلى المسيح و ثبت فيه وصار مع المسيح فى كل أحوال حياته، حتى أنه يستطيع أن يقول عن إحساس حقيقى: "مع المسيح صُلِبت" (غل ٢ : ٢٠)، و"مدفونين معه" (كو ٢ : ١٢)، و"إن كنا نتألم معه لكى نتمجد أيضاً معه" (رو ٨ : ١٧)، وغير هذه من مقولات إنجيلية ورسولية . لأن إختبار الموت مع المسيح ومن أجل المسيح مُضاد للطبيعة البشرية، إلا بعد أن تكون قد تقدست بمعمودية المسيح وإصطبغت معه على الصليب.

أما الهروب من الآلام والضيقات، أو التذمرعليها، أو مقاومتها، أو حتى مجرد الخوف منها؛ فهذا كفيل بتعجيل ساعات الموت.

أما الأتقياء والشهداء وكل من واجه الموت كل يوم، كقول بولس الرسول: "من أجلك نُمات كل النهار" (رو ٨: ٣٦)؛ فهؤلاء يكون موتهم فى النهاية بمثابة عبور، والقبر يصير لهم معبراً إلى الحياة.

مقالات في التاريخ المسيحي

القرن الرابع الميلادي

زيارات القديس مقاريوس للأنبا أنطونيوس أب الرهبان:

زار القديس مقاريوس الأنبا أنطونيوس مرتان سنوات ٣٤٣م ومرة بعدها بعشر سنوات أي سنة ٣٥٣م. ويذكر كتاب بستان الرهبان قصة عن الزيارة الأولى ٣٤٠م وهي" عندما أقترب القديس مقاريوس من مغارة أنبا أنطونيوس فلما رأه أنبا أنطونيوس قفل داخلاً المغارة وأغلق بابها لفترة ليرى مدى صبره وأحتماله. فجلس القديس مقاريوس وقتاً طويلاً ، ولما رأى ذلك أنبا أنطونيوس فتح مغارته وأستقبله وأراحه كثيراً وتحدثا معاً لمدة ساعات عن خلاص النفس وأرشده كثيراً في حياة النسك والوحدة. *(كتبها القديس مقاريوس فيما بعد في رسالات لأولاده فيما بعد)* وأيضاً تسَّلم القديس مقاريوس زي الرهبنة التقليدي الذي كان الأنبا أنطونيوس تسلمه من الملاك في رؤيا سابقة له. وعندما جاء المساء سحب الأنبا أنطونيوس شيئاً من الخوص وبدأ في ضفر السلال فأستأذن القديس مقاريوس ليأخذ قليلاً ويضفر أيضاً فسمح له. وبعد قليل رأى أنبا أنطونيوس أن ما ضفره القديس مقاريوس كثيراً جداً فقال له: " إن قوة عظيمة تخرج من هاتين اليدان".

وحسب المخطوطات المتواجدة في ديره فأن القديس مقاريوس زار أيضاً القديس باخوميوس (الذي أُشتهر فيما بعد بـ "رئيس المتوحدين") مرة واحدة تقريباً بعد ٦ أو ٧ سنوات من زيارته للقديس أنطونيوس.

وبعد عشرة سنوات تقريباً سنة ٣٥٣م كانت الزيارة الثانية حيث كان الرهبان الذين تجمعوا حول القديس مقاريوس وتلاميذه قد تكاثروا. هنا بدأ القديس يحتاج الي نصائح وأرشادات الأنبا أنطونيوس في الرعاية وتنظيم وقيادة نفوس مجمع الرهبان فذهب اليه مرة أخرى. وحسب المخطوطات سلَّم الأنبا أنطونيوس عصاه التي كان يتكأ عليها الي القديس مقاريوس *(يقول البعض أن هذه علامة تسَّلمه التدبير الرهباني من بعده)*.

كان القديس مقاريوس دائم زيارة منطقة القلالي والمنشوبيات المعروفة ب "جبل نتريا" أو أحياناً " البرنوج" لأنه لم تتواجد في برية شيهت كنيسة لتقديم ذبيحة والتناول من السرائر الألهية. وقد أشتهر فيها بأسم " الشاب الشيخ" وذلك لتقواه وخبرته الروحية العميقة فكان كل من يحدثه يشعر أنه يخاطب شيخ مختبر.

أعمال فائقة في حياة القديس مقاريوس:

عاش القديس مقاريوس حياة مملؤة بالروحانية والقداسة التي فاح عبيرها الي أنحاء مصر فجاء اليه شباب كثيرون ممن ذهبت قلوبهم لحياة الوحدة والطهارة وأشتاقوا للسير في طريق الكمال المسيحي. وأشُتهر القديس مقاريوس بأسم " صديق الشاروبيم" وكانت حياته مملؤة بعظات ومنافع متعددة لجميع من حوله.

حياة القديس مقاريوس مملوءة بمعجزات فائقة كثيرة أذكر منها واحدة وهي أقامة ميت ليخبر أرملته شيئاً هاماً. روى هذه القصة الأنبا شيشوي فيقول " في زمان الحصاد ذهب سبعة من الرهبان الي الحقول ليعملوا ويأتوا بالأجرة للأخوة ليبتاعوا أحتياجاتهم. وهناك وجدوا أرملة تحصد معهم وهي تبكي بشدة معظم الوقت بلا رجاء في الله ولا عزاء من أحد. فسمعوا عن قصتها وهي أن زوجها قبل نياحته قد أخذ وديعة من أحد التجار وأرملته تبحث عنها لأن صاحبها يريدها وقد هددها بأخذ ولداها ليبعهم في سوق العبيد. ولما جاء الأخوة حكوا للقديس مقاريوس فسألهم أين دُفن هذا الرجل؟ فسألوا المراءة وأعلموه بمكان دفنه.

فأخذ القديس مقاريوس بعض الأخوة وذهبوا الي المقابر حيث دُفن هذا الرجل. وهناك وقف عند قبره وسأل الميت بصوت عالٍ عن مكان الوديعة. فسمع الأخوة صوت من المقبرة يخبرهم بمكان الوديعة في البيت. وبعد ذلك سمعوا القديس مقاريوس يقول للميت " أذهب بسلام وأرقد ليوم القيامة". ثم قالوا للمراءة التي فتشت المكان الذي قال الميت عنه فوجدتها فعلاً ومجدت الله في قديسه الأنبا مقاريوس. ولكن القديس مقاريوس نفى المجد عنه وقال " لم يقم الميت لأجل صلاتي ولكن لأجل محبة الله للأرامل والمساكين." هذه واحدة من أعمال فائقة كثيرة فعلها القديس مقاريوس.

نفي القديس مقاريوس مع القديس مقاريوس السكندري:

بعد أن تنيح القديس أثناسيوس في مايو ٣٧٣م كانت الأريوسية في دور الأنحدار والنهاية فكانت تريد الأنتشار بقوة السلاح والبطش لمن لا يؤمن بها. فخليفة البابا أثناسيوس وهو البابا بطرس الثاني (٣٧٣م – ٣٧٨م) لم ينجو من هذا البطش والترويع فقد نُفي هو أيضاً من الأمبراطور فالنس الروماني الذي عين بدلاً منه أسقفاً أريوسياً يدعى "لوقا" أو "لوس" Luce ويقول المؤرخ سقراط عنه أنه كان له وحشية الذئب وطباعه ، وكان محمياً بمجموعات جنود الأمبراطورية وكان عددهم يوحي للجميع أنه سيقوم بحرب ضدد البربر. ولم يكتفي بهذا بل أرسل الي والي مصر في هذا الوقت "تاتيان" بأن ينفي جميع من يؤمن بأيمان مجمع نيقية. فأصبحت السلطتين المدنية والكنسية معاً تعمل لصالح الأريوسية.

وحين جاء هذا الأسقف المزيف " لوس" الي الأسكندرية وجه غضبه نحو الكنائس والشعب القبطي فقتل منه كثيرون. وبعد عام تقريباً وقبل نهاية سنة

٣٧٣م " لوس" عرف أن رهبان الأديرة بأكلمهم يؤيدون البابا بطرس الثاني ويؤيدون الشعب القبطي في عدم الصلاة لدي الكنائس التي أستولى عليها الأريوسيون وجه جام غضبه عليهم. أرسل لوس للأديرة جمع غفير من الجنود الرومان يترأسهم قادة عنفاء مهوسون بالقتل وسفك الدماء. فجاءت مجموعة منهم الي برية شهيت ونتريا القلالي ورتب الله أن يتواجد المؤرخ روفنيوس في هذه المنطقة في ذلك الوقت ليسجل للتاريخ ما حدث.

ويقول المؤرخ روفنيوس (الحديث منقول نصاً : " ..... ولما وصل الجنود تلك البراري وجدوا فيها رهباناً منشغلين في صلواتهم وأصوامهم وعبادتهم وهم عزّل بلا سلاح سوى الصلاة فقط. بل وغير مستعدين للدفاع حتى عن أنفسهم ، بل مصممين على سفك دمائهم صوناً للأيمان المستقيم الذي سُلم لهم من القديسين. كما وجدوا في تلك البراري نساكاً عراة لا يرفعون أيديهم لصد حتى الضربات الموجهة نحوهم بل يقدمون الرقاب أيضاً لقبول الموت دون أن يقولوا شيئاً سوى : " مبارك الله في كل شئ" !!.". وفي هذا الصدد يوكد القديس جيروم أن جماعات رهبانية كاملة سُفكت دمائها على يد جنود الأسقف المزيف لوس هذا.

ولما وجد الجنود أن جبروت السلاح والبطش هو قوة ضعيفة ومهزومة أمام قوة الأيمان الحقيقي أمر رؤساء الجنود بالقبض على رؤساء ومدبري الأديرة فأمسكوا بالكثير ومنهم القديس مكاريوس السكندري والقديس مقاريوس المصري (صاحب السيرة) ونفوهم معاً الي جزيرة محاطة بالمستنقعات في وسط نهر النيل في الدلتا جميع سكانها من الوثنيين ولا يوجد في هذه الجزيرة مسيحي واحد.

وكان سكان هذه الجزيرة من الوثنيين المتشددين وفي الجزيرة أيضاً معبد فرعوني قديم لأحد ألهة القدماء المصريين. وكانت أبنة رئيس هذا المعبد مسكونة بشيطان فلما رأت القديسان قادمين للجزيرة صرخت بأعلى صوتها: " يا عبيد يسوع المسيح ما أرهب قدرتكم هل أتيتم لكي تطردونا من هذا المكان؟." فقام القديسان لوقتهم للصلاة من أجلها فطرحها الشيطان بعد أن صرعها طويلاً وقامت صحيحة مُعافة فدفعها القديسان لوالدها.

قام القديسان مكاريوس السكندري ومقاريوس المصري (صاحب السيرة) لوقتهما بأنتهاز الفرصة التي أعطاها الرب يسوع لهم وقاموا بتبشير أهل الجزيرة بالأيمان المسيحي. وياللعجب أن الجزيرة التي لم يكن فيها مسيحي واحد اصبحت بعد فترة ٧ شهور (كان النفي من برية شهيت في شهر برمهات وكان تدشين المعبد كنيسة في شهر ١٠ طوبة من العام التالي)

نياحة القديس مقاريوس :

يقول سيرابيون (التلميذ كاتب سيرة القديس مقاريوس) أنه بلغ السابعة والتسعين من عمره. وفي نهاية أيامه كان بصره قد ضعف جداً وكان يقوده أحد تلاميذه. وقرب يوم نياحته كان راقداً على الأرض ظهر له شخصان روحيان مضيئان (كان أحدهما هو الأب باخوم أب رهبان دوناسة) وقالا له: " أستعد فأنه بعد تسعة أيام سوف تخلع هذا الجسد وتأتي لتسكن معنا" وللوقت فارقاه.

وفي اليوم السابع والعشرين من برمهات عام ١١٣ للشهداء كان القديس مقاريوس محموماً ولكن جاء اليه الكاروبيم وقال له: "أسرع وتعال فأن الجميع ينتظرونك". فقال في صوت خفيض سمعه تلميذه الذي كان بجانبه" يا سيدي يسوع المسيح حبيب نفسي أقبل روحي اليك". ثم مال برأسه للخلف وتنيح.

وللوقت تجمع أولاده من أنحاء البرية ليودعوه وهم حزانى القلوب أسفين لفراق أبيهم الروحي ومدبرهم في الحياة الرهبانية. وصلوا عليه جميعاً ودفنوه بأكرام عظيم في المغارة التي بجوار الكنيسة التي بناها وكان يصلي فيها ويجتمع بتلاميذ فيها. بركة صلوات هذا القديس الطوباوي تكون معنا جميعاً.